

رو ٢، ١٠-١٦

الأحد الـ ٢ بعد العنصرة

شباك الله وصيادي الناس - المسيحية والأديان -

"يا إخوة، المجد والكرامة والسلام
لكل من يفعل الخير من اليهود أولاً ثم من اليونانيين"

يكلّمنا النصّ الإنجيليّ لهذا الأحد عن شباك وعن صيد للناس. وهنا في رسالة بولس الرسول يعرف الدين بالأعمال، لأن "ليس عند الله محاباة للوجه".
ما هي الأديان وما هي المسيحية بالمقابل؟ الأديان عموماً هي تلك الشباك التي تصطاد الناس إلى الله. الأديان كلّها خيوط يشدّ الله بواسطتها الناس إليه. الميل البشريّ إلى الإيمان فطريّ، والاتجاه إلى الله هو في العقلانيّة. لذلك كان من الطبيعيّ أن يخلق الناس أدياناً لهم، وأن يكونوا صوراً عن خالقهم وعن علاقتهم به. فجاءت الأديان وليدة حضارات تحمل مزاياها وتعبر عنها أيضاً.

يعلن بولس الرسول، بجرأة منقطعة النظير، أن العبادة الحقّة والدين الحقّ هو الأعمال، فالجد والكرامة والسلام (من الله) يُعطى لكلّ من يفعل الخير، لليهود أولاً ثمّ للوثنيين أيضاً. لأنّ الأمم الذين ليس عندهم الناموس فهم ناموس لأنفسهم"، ولديهم ناموس الضمير الذي به يعملون ما يطلبه الناموس المكتوب. ويبدو أن بولس يرى أنه "يوم يدين الله سرائر الناس بحسب الإنجيل" سيدينهم بحسب ضميرهم، أي بحسب الناموس الذي لديهم.

إنّ نظرة القديس بولس تتقبّل الأديان الصالحة كلّها وترى بها طرقاً "لفعل الخير". فمن لم يصله الإنجيل سيدينه الله على كتابه أو على ضميره... "لأنّه ليس السامعون للناموس هم أبراراً عند الله وإتّما العاملون بالناموس هم يبرّرون".

إذن ما هي المسيحيّة بين كلّ هذه الأديان؟ هل هي إحدى هذه الشباك وخيط بين كلّ تلك الخيوط بيد الله؟

المسيحيّة تمتاز أولاً بأنّها ليست من صياغة بشريّة. فهي ليست ديناً بمعنى أنّها فلسفة بشريّة حول معرفة الله. المسيحيّة هي كشف إلهيّ وليس اكتشافاً بشريّاً. فلقد كلّّم الله الناس قديماً بالضمير وبالناموس والأنبياء. ولكن لما تمّ ملء الزمان كلّنا بابنه الوحيد.

الأديان تحمل حقائق من الحقيقة، تتكلّم عن الله كما تتصوّره حضاراتها. لكن المسيحيّة تكلمت عن الله الذي "صار جسداً لأجلنا" و"الذي لمسناه ورأيناه". المسيحيّة تصف الله الذي جاء إلينا ورأيناه ولا تتفلسف عن إله ما لدينا ميلٌ إلى عبادته. المسيحيّة إذن لا تكشف لنا عن الله بل اقتبلتُ الله فملكّتُ كامل الكشف الإلهيّ. المسيحيّة هي كمال الحقيقة. فهي بالتالي الدرب الأسلم والأقصر والأسهل إلى الله.

إذا كان الله في بعض الأديان يحمل صفات تجعله في سماه بحيث لا تلمس نعمته قلبنا، أو إذا كان الله في طرائق الأديان ما هو إلّا كالقاضي أو المنتقم أو البطاش أو إله خمر أو إله حرب أو إلخ... إله كهذا لنا الحقّ بأن نقتله لنحيا أحراراً كما نادى شيوخيّة السنوات المنقضية، وكانت على حقّ (بذلك)؛ إلّا أنّ خطأها كان في أنّها جهلت الإله الحقيقيّ؛ إله آبائنا المتجسّد الفادي الخادم والعبد المتألّم حتّى من أجل صالبيه ومبغضيه، حتّى لهؤلاء الشيوخيين كان هو فاديهم، وألمه كان أنّهم استلموا عنه ما ليس فيه ووصلهم عنه صفات هو يتبرّى منها، وطعنوه حين تنكّروا عليه حبّه، واتهموه بقاتل الإنسان وهو الذي يموت لأجلهم. "أيّ إله عظيم مثل إلهنا" يصرخ المسيحيّون في أعيادهم الكبرى. إنّها صرخة نابعة من خبرة تلمّس الحبّ الإلهيّ المتأجّج في داخلهم ردّاً على الحبّ الإلهيّ اللامتناهي.

ما موقف المسيحيّ إذن من الأديان الأخرى؟ تتراوح المواقف بين عدائيّة متعالية إلى متسامحة ومتقبّلة لدرجة أنّها تساوي المسيحيّة بغيرها من الأديان أحياناً.

والموقفان خاطئان. فالمسيحيّ ورث مسيحيّته بالصدفة عموماً، ولم يخترع هو هذا الدين، ولم يكتشف هو حقيقة الله، إنّما مجاناً استلم الكشف الإلهيّ الكامل، وبحسب إنجيله الذي استلمه عليه إذن مجاناً أن يعطيه.

عندما نسمع كلمات بولس الرسول عن الضمير وعمّن ليس لديهم ناموس مكتوب، وبكلمة أخرى عندما نتذكّر من كلّما ته جميع الأديان غير المسيحيّة نتذكّر على الفور كلمته "الويل لي إن لم أبشّر" و"فإن لم يسمعوا كيف يؤمنوا وكيف يسمعوا إن لم تُرسل"؟

الآخر ليس عدواً، ومسيحيّتي ليست مشابهة لسواها! الآخر قريب ومسيحيّتي حقّه. المسيح كلمتي إلى كلّ قريب. المسيحيّ يقبل بكلّ دين على أنّ ذلك هو بسبب نقص البشارة. وليس لي بمسيحيّتي فضل ولكن لي تجاهها واجب الكرازة. المسيحيّ هو سفير حبّ المسيح في العالم إلى أن يصير المسيح هو الكلّ في الكلّ، آمين.